

المدرسة القرآنية في الصحراء والمغرب

2

للاستاذ

سعيد اعراب

نسبة الى (الضحاك) من قرى (آيت ابا عمران) ، حفظ القرآن بمسقط رأسه ، ثم التحق بمدرسة (اكلو) ، فآخذ عن الشيخ انجار ، وكان من عهد القراءات السبع ، امام جليل القدر ، قليل النظر في عزلته ، وفي عزوفه وعبادته ، وفي اقباله على تعليم القرآن بمختلف الروايات .

اقرا بمدرسة بوكراف مدة ، وكان عنده من اصحاب القراء ، نحو خمسة وثمانين ، منهم اصحاب قالون ، والبصري ، والمكي ، فكان يمر على الواحد منهم — اصحاب حمزة — وهم من اتقوا السبع ، وكان هو فقط يمر على الواح السبعين ، تجعل امام بيته الذي ينزل فيه ، فيأخذها مرة واحدة في الهجرة اليه ، فاذا مر بها وضعها في نافذة فيحركها ، فيتناولها اربابها ، وكان صاحب عزلة ، وللناس فيه اعتقاد عظيم ، وكانت العصا لا تفارق يده ، وعند ما انقطع الى داره في مرضه الذي توفي منه ، جاء الطلبة لتوديعه ، فصار يوصي كل واحد منهم بالتقوى وخوف الله ، (ت 1323 هـ) (41)

2 — ابو الحسن اشطاب ، من حفاظ السبع ، كان يقطن (تارحالت) ، اقرا بمدرسة (الخميس) بآيات بو بكر وغيرها ، (ت 1345 هـ) (42) .

من القبائل التي اشتهرت بالدراسات القرآنية ، وبرز فيها اثمة مقرئون ، — قبيلة (آيت ابا عمران) ، معقل الابطال ، وموطن اهل العلم والفضل ، وكانت اول مدرسة عرفها التاريخ بالصحراء ، مدرسة (اكلو) — بضاحية (تزنيث) ، أسسها العالم المصلح وجاج ابن زلو اللمطي ، نسبة الى لمطة : الاسم الاصلى لقبيلة (آيت ابا عمران) ، وتصحف في بعض عصور التاريخ باسم (بعمرانة) (39) .

ومن مشاهير القراء الباعمرانيين :

أبو العباس احمد بن ابراهيم بن احمد البوكرافي ، المعروف بانجار ، كان في (اكلو) — كثرينه اعجلى بجبال جزولة ، فكلاهما رفع راية الروايات السبع ، وحظي بانتشار التلاميذ الذين تخرجوا به ، مع صلاح واعتقاد الناس (40) .

ونجهل كل شيء عن حياة ابي العباس انجار ، وعن شيوخه الذين أخذ عنهم ، وكل ما نعرف أنه كان تطبا من اقطاب هذا الفن ، يحفظ العشر الكبير ، وتخرج على يديه كثيرون ، نذكر منهم :

1 — ابا عبد الله محمد بن عبد الله الضحاكي ،

(39) انظر المسول 11 / 38 ، — 39 ، وج 12 / 197 .

(40) المسول 5 / 294 .

(41) المسول 12 / 198 .

(42) خلال جزولة 4 / 200 .

3 — أبو عبد الله محمد بن أحمد التيمولائي ،
خُذ عن أنجار حرف مكى ، ويقال انه لا يزال عند أسرته
وحه فيه ختمة للقرآن ، عليه آثار لقلم أنجار .

وكان لأبى عبد الله التيمولائي اعتقاد خاص في
استاذة أبى العباس ، وهو الذى أرسله لطلب العلم ،
خُذ عن جماعة من الشيوخ ، وحصل كثيرا من العلوم
الفنون .

قضى جل حياته في تعليم كتاب الله بتيمولاي
لسفلى ، ثم في العليا ، (ت 1352 هـ) (43) .

4 — أبو عبد الله محمد بن العربى من قرية
(نامدا ایر عمان) من (اداوزال) .

كان أبوه انتقل اليها من (تاركانت) من قبيلة
(اداوزيكى) ، حفظ القرآن بقريته ، ثم انتقل الى (ألكو)
حيث اخذ عن الشيخ أنجار ، ثم طوف على شيوخ هذا
الفن ، فأتقن القراءات ، برواياتها ، فتصدى للقراء
بمدرسة (ألكى) بالمنابهة ، فجاعته يوما عجوز ليقرأ
رسما فلم يستطع ، وحاول أن يعتذر لها ولكن بدون
جدوى ، فقالت له العجوز : وماذا قرأت اذن في حياتك ؟
فطلق ما كان فيه ، والتحق بمدارس العلم ، فأكب على
التحصيل بهمة لا تعرف الفتور ، وكان اذا صعب عليه
تحصيل شيء — لكبر سنه — يقول : آه مما أمضيته
في غير العلم ! ولكنه مع ذلك ، حصل نصيبا وافرا من
الفنون ، (ت 1345 هـ) (44) .

وللشيخ أنجار ثلاثة أحفاد ، كلهم يتقنون القراءات
السبع ، خلفوه في أداء رسالة هذا الفن .

توفى — رحمه الله — سنة (1286 هـ) ، ودفن
بمسجد (ألكو) على يمين الداخل الى مصلى
المسجد (45) .

ومن آثاره القرآنية :

1 — منظوم في الإرداف ، أسماه (بستان
المبتدى) ، وموضع الإرداف كتب فيه كثيرون ، ويقال

أن أول من ابتدعه المغاربة والاندلسيون ، ولم يكن
السلف يجمعون بين الروايات في ختمة ، بل يقرأون
كل رواية على حدة ، وانما حدث ذلك اثناء المائة
الخامسة للهجرة ، على عهد الدانى ومكى والاهوازى
والهذلى ومن بعدهم (46) .

ولعل أقدم من ألف في ذلك من المغاربة ، أبو
الحسن على بن سليمان الانصارى ، مقرر فاس
وشيوخ جماعتها ، (ت 730 هـ) ، وأسمى كتابه : (ترتيب
الإداء ، وبيان الجمع في الإقراء) (47) . وقد لخص
أكثر مسائله أبو العلاء ادريس المنجرة في كتابه :
(نزهة الناظر والسامع ، في اتقان الإرداف والإداء
للجامع) (48) .

وتحدث عن الموضوع بإسهاب ، ابن عبد السلام
الفاسى — في كتابه (الوقف والإبداء) — ، وذكر أن
طريقة المغاربة في ذلك — منذ عهد ابن غازى وأشيائه
— أن الطالب اذا حفظ القرآن برواية ورش ، جمع
اليه رواية قالون في ختمة أو أكثر مما يتأتى حفظه
فيه ، فاذا حفظ حرف نافع ، جمع اليه حرف عبد الله
ابن كثير من روايته في ختمة أو أكثر فاذا حفظ حرفيهما
جمع اليهما حرف أبى عمرو البصرى من روايته أيضا —
في ختمة أو أكثر كذلك .

فاذا حفظ الأحرف الثلاثة ، جمع اليها الأحرف
الأربعة الباقية من رواياتها الثمان — دفعة واحدة .

طريقة أهل صحراء سوس :

وربما جمع بعض قراء أهل السوس الى الأحرف
الثلاثة ، حرف ابن عامر الشامى من روايته كذلك ،
ثم جمع الثلاثة الباقية الى الأربعة (49) .

وعهد أبى العباس أنجار في منظومته (البستان)
— ابن عبد السلام الفاسى ، فقد ضمنها أكثر مسائله —
كما يصرح هو نفسه بذلك .

(43) انظر المعسول 12 / 207 — 210 .

(44) المعسول 14 / 195 — 198 .

(45) خلال جزولة 1 / 78 .

(46) انظر النشر 2 / 195 ، وغيث النفع ص 10 — 11 .

(47) انظر الميثاق ص 8 ، ع 134 .

(48) الميثاق ص 9 ، ع 151 .

(49) انظر الميثاق ص 9 ، ع 157 .

القراء ، عدد وجوه القراءات ، واختلاف الروايات ، وكانت أخيراً لها شهرة ذائعة بشمال المغرب ، تشدد إليها الرحال من سائر الجهات (51) .

ولما زار السلطان المولى الحسن الأول (آيت ابا عمران) في رحلته الأخيرة إلى الصحراء ، سنة (1303 هـ) — مثل بين يديه وفد من الطلبة (القراء) ، يتقدمهم طالب يدعى محمد الخلفي الباعمراني ، فاختبره السلطان — على عادته (52) — وكان مما سألته عنه قوله تعالى : « ما لها من فواق » ، فأجاب الطالب الصحراوي بقراءة حمزة (53) : « ما لها من فواق » بضم الفاء (54) .

ومن خريجي المدرسة ، بآيت ابا عمران ، — أبو محمد الحاج الحسين من أهل قبيلة (آيت عبلا) البعمرانية ، وكان بطلاً شهماً ، (لا يصطلى له بنار ، ولا يزال ذكره شائعاً — إلى الآن — بالشجاعة والرجولة) (الفذة) (55) ، أبلى البلاء الحسن في المعركة التي قادها الجنرال (لاموط) — إلى آيت ابا عمران ، ودافع دفاعاً مستميتاً إلى أن سقط صريعاً في ساحة الشرق (1335) (56) .

أما مدرسة الساقية الحمراء — وأعني بها مدرسة الشيخ ماء العينين — فقد اهتمت إلى جانب تعليم القرآن وحفظه ، ورسمه وتجويده — بالتربية وتهذيب النفوس ، وهي — كما يبدو — متأثرة بالمدرسة الصوابية (57) ، التي رفعت راية الإصلاح بسهولة جزولة ، وجمعت بين العلم والعمل — كما أومأت إلى ذلك في صدر هذا البحث (58) .

2 — تأليف في رمزية الشامي مع اثنين من أصحابه كان لاهل سوس والصحراويين بعمامة — اعتناء خاص بحرف الشامي ورواته ، ولذا نرى مترجمنا يفرد رمزيته بالتأليف .

والرمز في القراءات من صنع المغاربة ، لا تعرفه المدرسة الشرقية ، ولعل أول من رمز إلى شيوخ القراءات بالأحرف الأبجدية ، أبو القاسم الشاطبي (ت 590 هـ) :

جعلت ابا جاد على كل قارئ

دليلاً على المنظوم أولا أولا

فجعل (ايج) لنافع وراوييه ، فالهمز لنافع ، والباء لقالون ، والجيم لورثي .

و (دهر) لابن كثير وراوييه ، فالدال لابن كثير ، والهاء للبرزى ، والزاي لقبيل .

و (حطى) لابی عمرو البصري وراوييه ، فالحاء لابی عمرو ، والطاء للدوري ، والياء للسوسي .

و (كلم) لابن عامر الشامي وراوييه ، فالكاف لابن عامر ، واللام لهشام ، والميم لابن ذكوان ، وهكذا (50) .

ثم خصت الرمزيات بالتأليف ، فكانت هناك رمزية قالون ، ورمزية نافع ، ورمزية البصري ، ورمزية ابن كثير ، ورمزية حمزة (الشيخ) ، ورمزية ابن عامر ، وسواها .

وظهرت أخيراً مدرسة العدد ، فأضافت إلى رموز

(50) انظر ابن القاصح على الشاطبية ص 18 .

(51) انظر الميثاق ص 9 ، ع 162 .

(52) كان السلطان مولاي الحسن في الشمال أو الجنوب يسأل — بالدرجة الأولى — عن القراء ، وخفاة كتاب الله ، فيذاكرهم ويختبرهم ، وقد حدثني بعض الشيوخ أنه لما زار جبل العلم ، بشمال المغرب — حيث المقر المشيشي — اتصل بالفقيه ابن عبد الوهاب المقرئ ، فأعجب بتبحره في علوم القرآن ، وكان الطالب المعروف بالردام ، أول من أحرز على الجائزة الأولى ، — لحفظه القرآن — على صفر سنة .

(53) هي قراءة حمزة والكسائي وخلاص ، وقرا الباقون بالفتح ، انظر كتاب السبعة لابن مجاهد ص 552 والتيسير للداني ص 3 — مخطوط خاص ، والنشر لابن الجزري 2 / 361 .

(54) في خلال جزولة 4 / 59 — (فواق) — بضم القاف ، وهو تصحيف .

(55) المعسول 10 / 213 .

(56) نفس المصدر ، وانظر ج 3 / 392 — 394 .

(57) خلال جزولة 4 / 36 .

(58) انظر مجلة دعوة الحق ص 17 ع 6 ، ص 74 .

والشيخ ماء العيين ، هو أبو الانوار محمد
سطفى - واشتهر بلقب (ماء العيين) - بن الشيخ
كبير محمد فاضل بن مأمين ، من الشرفاء الادارية
الذين انتقلوا الى الصحراء .

ولد بالحوض - في القبلة - عام (1247 هـ)
والده ملازمة المريد لشيخه ، فنال منه ما نال
من العلوم والمعارف ، وربما كان شيخه الوحيد ،
الساكن في الطوق ، رحل الى المشرق ، وادى غريضة
الحج عام (1274 هـ) - وله من العمر (28 سنة) ،
كانت له فرصة للاتصال بأهل العلم والمعرفة ، ومن
فيه بمكة الشيخ عبد الرحمان افندى ، ويذكر انه
تتقل بملاقاته ، وقدم اليه هدايا سنية ، وقد اخذ
منه أبو زيد افندى سر حرف (الحاء) (59) ، - والشيخ
ماء العيين من الماهرين في علم أسرار الحروف - الذي
حدث عنه ابن خلدون في المقدمة (60) .

وقد دون رحلته هذه الى الحجاز ، وضمنها آثار
حرمين الشريفين .

تردد على ملوك المغرب منذ مولاي عبد الرحمان ،
على عهد مولاي عبد الحفيظ ، وقدم اليهم الولاء
الطاعة ، انتقل الى الساقية الحمراء في حدود
1277 هـ (61) وبني بها مدينة (الصمارة) (62)
هم الذين شجعوه على بناء المدينة ، وقدموا اليه كل
المساعدات ، وظلت القوافل تحمل الميرة من الصويرة
الى الساقية الحمراء (63) .

كان شجى في خلق المستعمر ، قاومه بكل قواه
حتى آخر رمق من حياته ، وكان له نفوذ واسع في قبائل
الصحراء ، وشهرة ذائعة في سائر الاقطار .

كان عالما عاملا ، متبحرا في علوم الشريعة ،
لجأ الضعفاء والمساكين ، وماوى الارامل والعجزة
الايام ، له يد سخية لا تصرف حدودا ، (امضى حياته

كلها في العلم وفي تدريسه ، والتأليف في عالم الفنون
حتى نظم « المزهرة » ، وحتى تعالى الى جميع ما اتفق
عليه الفقهاء ، فانتشرت به علوم جمة ، وتخرج به
فطاحل عظام من الصحراويين (64) :

هو الشيخ ماء العيين : عين شريعة
وعين حقيقة فليس منازع (65)

وصفه بعضهم بقوله : (... ناصح
الامة ، المخرج عنها كل غمة مدلهمة ، بحر الولاية ،
وشمس فلك الرواية والدراية ، مركز دائرة فنون
العلوم ، وقاموس محيط المعاني والفهوم ، حجة الله
البالغة ، وآياته البينة الدامغة ...) .

ويقول في حقه صاحب الوسيط : (... هو العلامة
الوحيد ، له معرفة بعلوم الشرائع : من الحديث والفقه
وغير ذلك ، ما جاء بعد الشيخ سيدى مثله في اقبال
الناس عليه وانفاقه ... كان فاضلا كريما ، لا يوجد
احسن منه اخلاقا ، وقد اجتمعت به - حين خروجي
من مدينة شنقيط الى مراكش ، في توجهي الى الحجاز
رايت منه ما حيرنى ، لاني اقدر من معه في وادى اسفار
من الساقية الحمراء ، بعشرة آلاف شخص ، ما بين
أرملة ومزمن ، وصحيح البنية ، وكل اصناف الناس ،
وكل هؤلاء في أرغد عيشة ، كاسيا من ذلك الشيخ ...
مع حسن معاشرته لهم ، لا فرق عنده بين ولده
والمحسوب عليه ، ومتى بلغ الانسان قريبا منه ، يسمع
مريدبه يذكرون الله ، وينشدون الادعية ، ورايته في
تلك الايام التي أقمت عنده ، لا تفوته صلاة الجماعة
في اول الوقت ، مع كبر سنه ، وضعف جسمه ، وبعد
العصر يسرد له الحديث وهو يسمع ، ثم يشرح لهم
بعض المواضع منه ...) (67) .

ولا نريد أن نتوسع في ترجمة هذا الشيخ ، فقد
افردت بالتأليف ، والذي يهمنا ، أن نسلط بعض أضواء
على المدرسة المالينية بالصحراء ، التي احتضنت آلاف
التلاميذ والمريدين ، وخرجت عشرات العلماء الاقذاذ .

(59) انظر نعت البدايات ص 187 .

(60) انظر الفصل الثالث والعشرين من المقدمة ، ص 6 و 9 - 915 .

(61) المسول 4 / 97 .

(62) ولم يتم بناء مدينة الصمارة الا في نحو (1322 هـ) .

(63) انظر المسول 4 / 93 .

(64) المسول 4 / 85 .

(65) من افواه الرجال 1 / 128 .

(66) انظر خاتمة كتاب (نعت البدايات) ص 269 .

(67) انظر الوسيط في تراجم ادباء شنقيط ص 365 .

عنوان (فائق الرتق) ، جمع فيه من شوارد اللغة ونواذرها ، ما يدل على سعة اطلاع الرجل في هذا الميدان .

- 5 — دليل الرفاق ، على شمس الاتفاق .
- 7 — مذهب المخوف ، على دعوات الحروف .
- 8 — مبصر المثقوب — في التصوف .
- 9 — المرافق على الموافق .
- 10 — تبين الغوض ، على النظم المسمى بنعت العروض .

- 11 — مفيد الحاضرة والبادية .
- 12 — ابراز اللآلئ المكنونات ، في الاسماء الظاهرة والمضمرات .

- 13 — مجموع يشتمل على رسائل (70) ومن خرجى المدرسة المالعية :

1 — أبو العباس أحمد الهبة ، بن الشيخ ماء العينين ، تربى في حجر والده ، ورضع أمأويق العلم والفضل منذ نعومة أظفاره ، وهو من العلماء الذين رفعوا راية الجهاد في وجه المستعمر عند فرض الحماية ، وقد التفت حوله قبائل الصحراء ، وبايعوه على الموت في سبيل الله ، وظل يقاوم — وأذئاب الاستعمار يبتون التفرقة بين صفوفه ، الى أن انتهى به الحطاف — الى كردوس (بعقيلة) ، ولم يبق معه ، الا شردمة قليلة من اصحابه ، حيث توفي هناك سنة (1337 هـ) (71) .

2 — النعمة بن الشيخ ماء العينين ، ساعد والده في تسيير شؤون المدرسة ، وكان من اساتذتها البارزين يغلب عليه الخشوع والتبتل ، ألف في ريق شبابه تأليف عدة ، بعضها مطبوع ، وكانت وفاته سنة (1339 هـ) (72) .

3 — أبو العباس أحمد بن الشمس ، عالم جليل ، أخذ عن الشيخ ماء العينين — وهو عمده . (ت 1342 هـ) (73) .

4 — مريه ربه بن الشيخ ماء العينين ، أخذ

وأكثر مواد الدراسة بهذه المدرسة — زيادة على تحفيظ القرآن ، وتعليم رسمه وتجويده — التفسير — الحديث — الفقه — الاصول .

ومن الذين اعتمدتهم الشيخ لتعليم كتاب الله ، وتدريب التلاميذ على النطق الصحيح بالحرف القرآني — أبو عبد الله محمد بابہ الصحراوي ، كان من المهرة في القرآن — حفظا ، ورسمها ، وحسن أداء ، صحب الشيخ ماء العينين ، وأخذ عنه ، وكان يقرأ الحزب الراتب بين يديه . (ت 1342 هـ) (69)

وكان الشيخ ماء العينين يتولى بنفسه تدريس القرآن (التفسير) ، ويعقد مجالس الفقه والحديث والاصول .

وكان الى جانب المدرسة الفسيحة الارزاء ، — داخلية كبرى ، يأوى اليها مآت التلاميذ والمريدين ، مع مكتبة ضخمة ، تضم آلاف المجلدات من مطبوعات ومخطوطات ، وأكثرها من هدايا السلاطين ، والعلماء الكبار ، في الشرق والغرب .

وقد أفاد منها كثير من اساتذة المدرسة ، الذين تفرغوا للبحث والتأليف .

وعند ما انتقل الشيخ الى (تزنيث) — امام ظروف تاهرة — نقلها معه ، حيث وافته اجله هناك سنة (1328 هـ) ، — عن عمر مديد ، ملئ بجلائل الاعمال . خلف آثارا علمية قيمة ، وجلها مطبوع بمصر وفاس ، منها :

1 — شرح نفيس على كتاب راموز الحديث ، على ترتيب الجامع الصغير : تأليف ضياء الدين الكشمخانوى الاسلامبولي .

2 — نعت البدايات ، وتوصيف النهايات .

3 — نظم المزه — في اللغة .

4 — منظومة في التوكل والتكسب — وهى غريبة المبنى ، لا يكاد يلتصق فيها حرفان — على حد تعبيره ، وقد اسمها (رائق الفتق) ، وله عليها شرح يحمل

(68) وقد أورد في المعسول 4 / 305 — قائمة بأسماء الذين كتبوا عن حياة الشيخ ماء العينين وذكر مؤلفاتهم .

(69) المعسول 3 / 29 — 30 .

(70) انظر معجم المطبوعات 1601 ، ومعجم المؤلفين 289 ، (560 ، واعلام الزركلى 8 / 145) .

(71) انظر — ترجمته في المعسول 4 / 101 — 246 ، والاعلام بمن حل مراكز وأقامت من الاعلام 2 / 289 — 303 .

(72) انظر المعسول 4 / 273 — 274 ، وج 14 / 51 .

البهالى — من الشرفاء السباعيين بالركيبات ، وقالوا له : لا نرتضى لك غير هذا فى علمه ودينه وورعه ، وحسن أدبه وسمته ، فلازمه مدة ، وكان يصحبه أينما حل وارتحل (79) .

وفى زيارته للصحراء سنة (1303 هـ) — وهو فى طريقه الى تزنيث عند مرجعه من (وادى نون) — عرض له صف من الطلبة ، اندلق من بينهم شاب من آل البصير المشهورين فى قبائل الركيبات بالساقية الحمراء ، فأراد الحجاب أن يردوه ، فأشار اليهم السلطان أن دعوه ، وأن فوقف بين يديه ، فسأله من هو ؟ فعرفه بأسرته ، وأن مقصوده أن يدعو له بنيل رضى الله الاكبر — ودعاء السلطان مستجاب — فتبسم السلطان ، وبعد مداولة حديث ، أمر له بجائزة سنية (80) .

وعند وقوفه بوادى نون ، كتب الى الشيخ ماء العينين يدعو له الى حضرته ، ومما جاء فى الرسالة التى وجهها الى الشيخ :

وابرح ما يكون الشوق يوما
إذا دنت الديار من الديار
ولكن للعيان لطيف معنى
لذا سأل المماننة الكليم

ثم سافر الشيخ الى مراكش سنة (1304 هـ) ، فلقاه الملك بالاجلال والتكريم ، وحين جلس اليه ، قال له الشيخ : انى زرت جدك مولاي عبد الرحمان فجعلنى ابنا ، واباك فجعلنى اخا ، فقال له مولاي الحسن : وانا اجعلك ابا ، ثم ودعه الملك ، واسند اليه النظر على تلك الناحية ، من طرفاية الى الداخلة وما بينهما (81) .
فاذا توغلنا فى تخوم الصحراء المغربية ، نجد اكبر مدرسة عرفها التاريخ بهاته الجهات : مدرسة ابن الاعمش الجاكاني .

وقد اسسها عند ما وضع التخطيط النهائى لمدينته الجديدة (تيندوف) — فى حدود سنة (1270 هـ) ، وساعده على تشييدها أخواله أبناء قبيلة (تجاكانت) ،

عن والده وعلماء حضرته ، كان الساعد الايمن لآخيه احمد الهبة ، وله من الحزم والعزم والاقدام ما لو تسنى له الانفراد بالرأى ، لكان له ما يكون ، وكان الى ذلك ادبيا ذواقة للادب ، يقرض الشعر ويجيد القول فيه (ت 1361 هـ) ، خلف نحو (120) مؤلفا (74) .

5 — أبو عبد الله محمد سالم بن عبد الفتاح الصحراوى ، من قبيلة (ادا وعلى) من (تاكانت) ، انتقل والده الى الساقية الحمراء ، ونزل على الشيخ (ماء العينين) ، وهناك ولد المترجم ، حفظ القرآن على الشيخ محمد بابو الصحراوى ، وتخرج على اساتذة المدرسة المالعينية ، (ت 1364 هـ) (75) .

6 — أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز العالم الورع ، اخذ عن الشيخ ماء العينين ، وكان له فى تقوى الله والورع أوصاف يتناقلها الناس بالاعجاب ، (ت 1370 هـ) (76) .

7 — سيديا بن احمد بن سليمان ، من بنى ديمان بالقبلة ، ينتسبون الى السلالة البكرية التيمية ، وهم من العرب الداخلين الى الصحراء قديما ، اخذ عن علماء بلده ، ثم وفد على الشيخ ماء العينين — الصمارة — هو وأهله فارين من جيوش الاحتلال التى هاجمتهم فى عقد دارهم سنة (1325 هـ) .

اخذ عن الشيخ ماء العينين علوما ، منها علوم الاصول ، ثم هاجر معه الى تزنيث ، فلم يزل يأخذ عن الشيخ الى أن توفى ، ثم اتصل بأبنائه (الهبة) و (النعمة) ، وسواهما . وعند ما تم احلال صحراء سوس ، عاد الى مسقط رأسه حيث توفى هناك سنة (1373 هـ) (77) .

— فى آخرين — وهم كثير (78) .

ولما تولى السلطان مولاي الحسن الاول عرش المغرب (1291 هـ) كلف بعض حاشيته أن يأتوه بعالم يأنس به ، ويذكره فى شؤون دينه ودنياه ، واقتصرح أن يطلبوه من قبائل الصحراء ، فأتوه بالشيخ محمد

(74) انظر المعسول 4 / 247 — 272 ، وخلال جزولة 2 / 185 .

(75) المعسول 3 / 35 — 38 .

(76) نفس المصدر ص 299 .

(77) نفس المصدر ص 26 — 28 .

(78) انظر خلال جزولة 2 / 184 — 185 ، والمعسول 4 / 285 — 302 .

(79) المعسول 12 / 161 .

(80) نفس المصدر ص 111 .

(81) الرسالة 98 .

فكان الرجال يخدمون نهارا ، والنساء ليلا — احتسابا لله .

وكان حجر الزاوية لهذه المدينة — الجامع الأعظم ، فهو أول ما بنى بها ، ثم تتابع سمر البناء (82) .

وابن الاعمش ، هو العالم المقرئ ، أبو عبد الله محمد المختار بن الاعمش الأكبر ، (من أهل الصيت الذائع ، وله أتباع كثيرون — نظير الشيخ ماء العينين غير أن ابن الاعمش أكثر تحقيقا ، وأوعى لجميع الفنون ، وهو حجة في الجميع ، زاهدا في الدنيا ، لم يلتبس بشيء منها (83) .

كان والده من فطاحل العلماء ، ومن الفقهاء الكبار ، تدل على ذلك فتاواه المخطوطة (84) . وقد ولد بشامة — أزاء (كندر) ، وهناك تعلم ، وأخذ عن مشايخ بلده ، ثم حج وهر في طريق عودته — (تجاكانت) فنزل عندهم ثم تزوج ، وهناك ولد له ولده محمد المختار .

ثم رجع إلى شامة ، وبها توفي قبل سنة (1260 هـ) (85) .

تعلم أبو عبد الله المختار (مترجمنا) على والده ، وعلى غيره من علماء (شامة) ، ثم نزل بالشيخ محمد ابن الشيخ المختار الكنتي ، فلازمه حتى صار بحرا متفجرا بفنون العلم والمعرفة ، وكان الشيخ استخدمه في انتساح بعض كتبه ففتح عليه ، ثم ودعه فذهب إلى أخواله : آل (تجاكانت) ، فشارطه رئيس القبيلة — ويعرف بالديمانى — : يعلم بنيه ، ويؤم به في الصلاة . وقد زوجه بنتيه بالتتابع ، وبعد موت الديمانى — صهره ، فارق شامة ، ونزل بالمكان الذى أسس فيه مدينة (تندوف) ، ومدرسته التاريخية — كما أومأنا إلى ذلك آنفا .

وكان للملوك العلويين اهتمام زائد بهذه القبائل ، وخصوصا آل (تجاكانت) ، فقد كان فيهم علماء ،

وفاضل صلحاء ، وهناك ظواهر تتعلق بهم ، وتضمني عليهم كل اجلال وتقدير .

ومن رجالاتها الكبار ، القائد أحمد بن مالك الذى تولى على هذه الجهات — منذ عهد مولاى الحسن ، إلى عهد المولى عبد العزيز (86) .

وقد تصدى أبو عبد الله بن الاعمش لمحاربة اصحاب السطو من قبائل الركيات ، وأصدر عدة فتاوى بمحاربتهم وقتالهم ، لانهم قطاع الطريق ، يسعون في الارض فسادا ، وكان مكرما لآل البيت ، يسميهم (أخوان الله وجلاليزه) (87) .

(كان عالما جليلا ، يدوى صوته في كل الجهات ، وهو فريد في العلوم ، وفي القراءات ، فاليه يصار في حل المعضلات ، وفتح ابواب المشكلات ، وظل هناك يعلم القرآن ، ويدرس الحديث) (88) .

وهكذا قضى أكثر حياته في التدريس والتعليم ، والفصل بين الخصوم ، وقد تلمذ له كثيرون ، نذكر منهم :

1 — أبا عبد الله محمد محمود التركى المنقبطى علامة عصره في اللغة والأدب ، مر في طريقه إلى المشرق على الشيخ ابن الاعمش بتيندوف ، فتلقى عليه جملا من الحديث (ت 1322 هـ) (89) .

2 — ولده أحمد دكنا الذى سنتحدث عنه كخليفة عن والده .

3 — أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن محمد البيروكى ، عالم مشهور ، عاش أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر للهجرة ، أخذ عن الشيخ بن الاعمش علوم القرآن ، وكان يتقن القراءات السبع ، وللناس فيه اعتقاد .

أقرا — (تاهلا) و (تأنالت) ، ثم القى جيرانه في بلده (يوفتاركا) ، تخرج على يديه نحو سبعين من كبار العلماء ، وفي آخره عمره كف بصره ، ولم يترك الدراسة قط في النحو واللغة ، والتفسير والحديث ،

(82) المسؤل 18 / 159 .

(83) المسؤل 329 .

(84) المسؤل 18 / 158 — 159 .

(85) نفس المصدر .

(86) نفس المصدر .

(87) الجلاوة : الاعوان .

(88) المسؤل 18 / 159 .

(89) الوسيط ص 381 .

(1285 هـ) ، ودفن بتيندوف في مشهد عليه قبة
بنيت على شكل قباب المغرب ، ولم تكن عادة أهل
الصحراء بناء القباب (98) .

وقد خلف آثارا علمية ، منها :

1 — نصيحة ذوى الرسوخ .

2 — شرح اضاءة الدجنة — لأبى العباس المقرئ
— فى التوحيد .

3 — مؤلف فى رسم المصحف .

والذى يعنينا — فى هذا الحديث — ما كتبه عن
رسم المصحف ، وقد ألف الدانى كتابه (المقنع) ، وابن
نجاح (التنزيل) ، والشاطبى (عقيلة الانراب) ، وأبو
الحسن البلىنى المراكشى (النصف) ، وأبو عبد الله
الخرّاز (مورد الظمان) (99) .

ومن الصحراويين المعاصرين للشيخ ابن الاعمش
— أبو العباس أحمد بن عمر الجاكاني ، المعروف بطوير
الجنة ، (ت 1330 هـ) ، له نظم فى حذف القرآن ،
اسم (السراج) (100) .

وأبو الفضل المحجوب الصحراوى ، له قصيدة لامية
فى الثبوت والحذف ، رتبها على حروف المعجم ، وهى
كلها رموز ، وله عليها شرح مبسط (101) .

والرسم عندهم قسمان : قياسى ، وتوقيفى ،
فالقياسى : تصوير الكلمة بحروف هجائها على تقدير
الابتداء بها والوقف عليها ، ويرادف الخط والكتابة .

أما الرسم التوقيفى ، فهو علم تعرف به مخالافات
خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسى . وأنواع
المخالفة ستة : حذف ، زيادة ، بدل ، فصل ، وصل ،
هاء التانيث .

وخلف الشيخ ابن الاعمش — ولده أبو العباس

والفقه والفرائض والحساب — مع ملازمته للعبادة (90)

4 — محمد المولود أكبر أولاد الشيخ بن الاعمش
له يد فى العلم والمعرفة ، وكان شغله الشاغل تلاوة
القرآن . توفى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى ، ودفن
فى روضة والده بتيندوف (91) .

5 — أبو عبد الله محمد الأمين بن الشيخ بن
الاعمش ، عالم جليل ، كبير القدر ، له رسائل فى الحض
على صون النساء (92) .

6 — أبو محمد عبد الله بن الشيخ بن الاعمش ،
له رسوخ فى العلم ، وكان يجول فى القضاء بين الناس
(ت 1326 هـ) (93) .

7 — أبو الحسن على بن التهامى ، كان عالما
نسيبا ، تزوج إحدى بنات الشيخ ابن الاعمش ، وهو
الذى بنى قبة ضريحه بتيندوف (94) .

ومن الشيوخ الذين تولوا التدريس بالمدرسة
البلعشمية :

1 — محمد محمود التكرى الأنف الذكر ، درس
صحيح البخارى بمدرسة تيندوف ، وأخذ عنه أبو
العباس دكنا وغيره (95) .

2 — الشيخ ماء العينين ، زار المدرسة البلعشمية
— عند عودته من الحج فى حدود سنة (1275 هـ)
وقد أفاد من مكتبتها ، وربما أقرأ بها (96) .

3 — محمد يحيى الولاتى ، كان عالما متبحرا فى
علوم التفسير والحديث ، أقرأ بالمدرسة البلعشمية أيام
أبى العباس دكنا — حين مروره الى الحج سنة
(1312 هـ) — وأودع بخزانة المدرسة كثيرا من كتبه —
عند ما عجز عن الإصهار بها (ت 1330 هـ) (97) .

توفى الشيخ أبو عبد الله بن الاعمش سنة

(90) المعسول 14 / 308 — 312 .

(91) المعسول 18 / 160 .

(92) نفس المصدر .

(93) نفس المصدر .

(94) نفس المصدر .

(95) المعسول 18 / 160 .

(96) المعسول 4 / 97 .

(97) المعسول 8 / 224 ، وانظر شجرة النور الزكية ص 435 .

(98) المعسول 18 / 160 .

(99) انظر الميثاق ص 8 ع 125 .

(100) انظر سوسى العاملة ص 199 .

(101) انظر الميثاق ص 10 ع 164 .

أحمد دكتنا في تسيير شؤون المدرسة ، وسار على نهجه
حذو النعل بالنعل ، حتى أنه حارب — على عادة والده
— أهل الفساد من قبائل الركيبات . ويقال أنه كان
عنده سر الحرف ، كما كان عند أهله ، وهو في سيرته
مع الناس وديع متواضع ، يأخذ عن العلماء — أقرانه
الذين يملكون عليه إلى الحج ، فقد أخذ عن محمد محمود
التركزي ، ومحمد يحيى الولائي — في آخرين (102) .

(كان عالما فقيها ، مشاركاً في العربية والفرائض
والتاريخ وعلم الاسماء ، والتفسير والحديث والسير ،
قائماً على ساق الجد في دائرة عمله : يدرس ويقضي
ويفتي وينسخ . وقد أحيا الله به العدل في تلك الجهات ،
لأنه كان جبلاً راسخاً في الحق ، وكان حيناً من الدهر
قاضي كل جهات (تامانارت) ، لا يعلى عليه . وقد مثل
في حضرة السلطان مولاي الحسن ، ومدحه بقصيدة ،
فولاه قضاء (تيندوف) ، وهناك ظواهر سلطانية باحترام
وتوقير آل ابن الاعمش ، لعلمهم وفضلهم) (103) .

وبعد وفاة الشيخ دكتنا ، خلفه ولده أمانة الله ،
وينطق به الصحراويين — هكذا : (منتلا) . أخذ عن
والده ، ثم عن الأستاذ محمد مبارك — الإمام الراتب
بجامع (تيندوف) .

وكان له بصر حاد في الفقه ، تولى قضاء تيندوف
إلى أن توفي نحو (1360 هـ) (104) ، وربما كان آخر
علماء الأسرة البلعشمية — بهذه المدينة الحافلة بالامجاد .

وعند ما رزى أهل (تيندوف) بالحاق مدينتهم
بالصحراء الفرنسية ، واهمال المغاربة شأنها — وهي
كما يقول بعض المؤرخين تحت انهم وبين أعينهم —
تفرقوا أيدي سباً ، والتحق كثير منهم بوطنهم الأم
(المغرب) ، وللباطل جولات ، ولا بد للحق أن ينتصر

فبان من هذا العرض السريع ، أن الصحراء كانت
دار قرآن ، وعلم وفقه ودين ، زاخرة بالفقهاء والقراء
والمصلحين ، عامرة بالمساجد والزوايا ، والمدارس
والخزائن العلمية ، وأنها ظلت — في أحقاب التاريخ —

العضو الذي لا ينفصم من المغرب ، وستبقى إلى الأبد
— بحول الله .

بقي أن نقول كلمة المرأة الصحراوية التي شاركت
أخاها الرجل في سائر الميادين ، وخصوصاً عند المحنة ،
وتصاعد الأزمات ، فقد رأيناها في المسيرة الخضراء تتقدم
الصفوف ، وتحمل الرايات ، وتتأبط المصاحف ، وتنادي
بأعلى صوته : لبيك يا صحراء ، يا أمه .. !

ومن النساء الشهيرات خريجات المدرسة القرآنية :

1 — خنثة بنت الشيخ بكار المفاصري ، زوج
السلطان الأعظم المولى إسماعيل ، وجدة الملوك
العلويين .

كانت عالمة أدبية ، لها اعتناء بالحديث ورجاله ،
ذكرها أبو عبد الله أكنسوس وقال : أن لها حواشي
بخطها على هامش نسخة من كتاب الإصابة — للحافظ
ابن حجر .

ويوجد المجلدان ، الثالث والرابع بالخزانة الملكية
بالرباط تحت رقم (4932) .

ذهبت إلى الحج عام (1143 هـ) ، وصحبت
معه خفيدها المولى محمد بن عبد الله — وهو دون
البلاغ ، توفيت سنة (1155 هـ) (106) ، ودفنت
بروضة الاشراف بالمدينة البيضاء بفاس .

2 — رقية بنت الشيخ أحمد الصوابي ، تعلمت
على والدها ، وتولت بعده تسيير شؤون المدرسة
الصوابية — على كثرة ما كان بها من تلاميذ ، ومريدين،
وشيوخ .. وقد أومات إلى هذا في القسم الأول من
هذا البحث (107) .

3 — تعزى بنت الفقيه عبد العزيز التيزكي
السملاي ، عاصرت العالم المقيء محمد بن إبراهيم
أعجلي (ت 1271 هـ) ، وكانت مشهورة بالدين والوعظ
والصلاح (1288 هـ) .

4 — مريم بنت محمد سالم بن عبد الله بن إحمادو ،

(102) المعسول 18 / 161 — 162 .

(103) نفس المصدر ص 163 .

(104) المعسول 18 / 165 .

(105) انظر الاستقصا 7 / 58 ، 131 ، 138 ، 158 .

(106) انظر مجلة دعوة الحق ص 17 ع 6 ص 74 .

(107) المعسول 11 / 127 — 128 .

(عالم جزولة) ، وزوج الشيخ العالم الصوفي أبى الحسن على بن أحمد الالغى ، اتقنت حفظ القرآن الكريم ، وختمته سبع ختمات ، كانت أول معلمة — من النساء فى (ايلغ) ، (1342 هـ) (112) .

فى أخريات وهن كثيرات لا يتسع لهن صدر هذا البحث المقتضب . ويذكر أحد المؤرخين المعاصرين فى بعض مذكراته عن قبائل الساقية الحمراء ووادي الذهب — أنه شاهد بقبائل الصحراء فى الركيات — نساء عالمات ، أدبيات ، أقل بضاعتين فى الفقه — المرشد المعين لابن عاشر ، وارجوزة القرطبى ، وفى الأدبيات : المعلقات السبع ، وإيام العرب .

وزاد يقول : وفيهن مدرسات للعلم فى جميع الاوقات ، وجميع الانصب . وقد شاهدنا امرأة وسطا تحلى عليهن الشيخ خليل بلا شرح ، فخاضت فى شرح منته ، وحررت مسائله أحسن تحرير بلا تكلف فى إدارة املائه ، وحولها من أخذات العلم ، ما يزيد على ستين امرأة ، ويحضرن أيضا مجالس العلماء الذكور (113) .

ويكفى ان نعرف ان بأجر سيف فى قبيلة (امانوز) — مقبرة ، فيها جناح خاص للنساء الحافظات للمدونة — وهو الكتاب المفضل فى الفقه الإسلامى (114) .

وبمقبرة (تاجاكنت) من النساء الحافظات للقرآن الكريم — ثلاث عشرة — وهن من خريجات المدرسة البلعشمية — (تيندوف) (115) .

ويرحم الله الشاعر الصحراوى اذ يقول :
آه لمعهد دين كان يعمره

قد اقفر منه أى ايوان !

تطوان — سعيد اعراب

من قبيلة آل سالم ، المعروفين بالعلم من أجيال ، اشتهرت بمريم الصحراوية ، وهى قرينة الشيخ محمد سالم بن عبد الفتاح الشنقيطى ، وقد ذكرناه — ضمن تلاميذ الشيخ ماء العينين ، وكانت عالمة فائقة عابدة ، نزلت مع زوجها بزواية (ايلغ) وبدأت تعلم بنات آل الحاج صالح ، وتهتم بتربية اولادها وبناتها ، وتعمل على تثقيفهم وتهذيبهم .

كانت تتعهد الليالى الطوال ، وتتلو القرآن بغنة تسحر الالباب ، انتقلت فى سنة (1355 هـ) مع زوجها الى (نادلا) ، وظلت هناك تعلم بنات الشيخ ابراهيم ابن البصر — الى ان توفيت فى حدود سنة (1356 هـ) (108) .

5 — (ماحا) زوج الشيخ ماء العينين ، ووالدة الشيخ أحمد الهيبة ، كانت عالمة فاضلة ، تخرجت على يد مريم الصحراوية الأتفة الذكر ، وعنها أخذت سيرتها وسمتها الحسن (109) .

6 — عائشة بنت الطبيب بن خالد بن محمد الاكمارى ، زوج الفقيه العالم أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الوافى ، تمت الى أسرة عريقة فى العلم والفضل ، وكانت عالمة فقيهة ، تحفظ مترجم (المختصر) للهوزالى — بالشلحة . وربما ساعدت زوجها فى فصل بعض القضايا التى تستعصى عليه ولا يجد لها مستندا . (1336 هـ) (110) .

7 — خديجة بنت محمد البيضاء ، كانت فقيهة عالمة ، مستحضرة للسيرة وسائر الفنون .

هاجرت الى مراكش ، فتصدت لتعليم ابنائها ، وكانت تدرسه ككتاب اللغة والنحو والتاريخ والسير (111) .

8 — رقية بنت الشيخ محمد العربى الادوزى

(108) المسول 3 / 57 .

(109) نفس المصدر .

(110) المسول 11 / 87 ، 94 .

(111) خلال جزولة 4 / 157 .

(112) وهى والددة علامة سوس استاذنا المرحوم محمد المختار السوسى ، كتب عنها ترجمة وافية فى المسول

39 / 44 .

(113) انظر مذكرات المانوزى فى المسول 3 / 404 .

(114) انظر سوس العالمة ص 155 .

(115) المسول 18 / 161 .